

بلد أهلها وأراد الزوج ان يدعوها الى الدخول في طاعته والبناء بها فهل يدعي عايتها في بلده حيث كان العقد او في بلدها

والذي اراه وطلبه جميع القضاة ان يدل لفظ (توطن) في مادتي ٢١ و ٢٣ باقامته وان يبقى في مادة ٢٢ على حاله وقد كان لفظ الاقامة بدل التوطن في اللائحة القديمة . وهنا اعجل بذكر مسألة كان العمل فيها قبل اللائحة ايسر منه بمدها وهي دعوى زوجة على زوجها بانها تركها بلا تفقة وهي في اصوان وهو في الاسكندرية مثلامسروف للمقام فكان ينظر فيها على مذهب زفر في المحكمة التي تقيم الزوجة في دائرتها ويصدر لها الحكم بدون اعلان الزوج ولا اعذاره متى استوفيت الشروط والمسوغات للحكم ويبقى حق المعارضة للزوج عند التنفيذ الاحماله وكان في ذلك تسير على الزوجات الفقيرات ولكن حظر هذا النوع من التسير بعد اللائحة وارى ان يبقى الامر على ما كان عليه قبلها .

باب التسير والتعلم

﴿ أميل القرن التاسع عشر ﴾

(١٩) من اراسم الى هيلانه في اول مايو سنة ١٨٥٠

تسألني في خاتمة مكتوبك عما نسمي به ولدنا . نسميه أميل اذا كان ذكراً احياء لذكر ذلك الكتاب (١) الذي كنت أقرأه لك في مطالعاتنا الليلية فكان في نفسك مبعث الطرب والاعجاب حتى اني كنت أكف عن القراءة حيناً بعد حين لاشاهد وجهك في ضوء المصباح فأتين فيه ذلك . ياله من عهد تحفظه ذا كرتي لتلك الايام السعيدة

من البدع التي جرت بها السنة الاكياس (٢) من الناس منذ حين سبهسم جان جاك روسو واحتقارهم اياه فويل لهم مما يرمون به قبر ذلك الكاتب العظيم من نبال اللعن والقدح وانهم لجديرون بالرثاء لعقولهم . لم يكن ذنب ذلك الرجل الكبير سوى انه خالف سنة أهل النظر في عصره وهي اعتمادهم في اصلاح المجتمع الانساني على الرجال ومخاطبتهم

(١) كتاب جان جاك روسو المسمى أميل القرن الثامن عشر

(٢) الاكياس جمع كيدس وهو الظريف حسن الفعل

اياهم فيه بان وجه خطابه الى الوالدات والاطفال وهو أمر هداه اليه ما فطر عليه من جودة الطبع وذكاء القريحة على اننا لو جردنا كتاب أميل عما فيه من العبارات الفصيحة التي امتلأت بها صحفه والشتائم الشديدة المنبثقة عن وجدان كبر عليه احتمال الضيم والهوان والحماسة في نصرة الفضيلة والانفعالات الشريفة التي كانت تعروم مؤاface المؤمن بالله دون وجهه لانبيائه عند نظره في بدائع الصنع ومحاسن الكون - لو جردنا الكتاب من كل ذلك فما الذي يبقى لنا فيه ؟ يرجع كل ما قاله المؤلف في الطريقة التي أراد وضعها للتربية الى هذه القاعدة وهي السير على مقتضى الفطرة ومعاملة الاطفال معاملة العقلاء . نسلم له ما يقول ونحن نرى ان اتباع الفطرة في كل ما تدعو اليه يفضي بالطفل الى حالة التوحش والهمجية لكن ذلك الحكيم على عدم ايمانه بالوحي كان يعتقد ان أصل الكمال في الفطرة والنقص انما يعرض لها من فساد التربية أما كلامه في خطاب العقل فلا شك انه جدير بان تصاغ له من أجله أجل عبارات المدح تنويها بفضله ولا بدع في ان عرف له القرن الثامن عشر قدره بعد انكاره فاقام له من الآثار ما خلد ذكره وأحيا اسمه . لكن العقل من دون جميع قوى الانسان هو الذي يكون في طور الطفولية أقلها نمواً فكيف اذن يعتمد على هذه القوة الكامنة في ايصال معنى الخير الى نفس الطفل لروسو فوق ذلك أغاليطا أخرى كان يعتقد صحتها وكان من شأنها ان تعوقنا عن التقدم في أخلاقنا واوزاعنا . من هذه الاغاليطا اعتقاده بوجوب الرضوخ لما للجمهور الاغلب من السلطة المطلقة فانا نجد في كتابه المسمى بالعقد الاجتماعي قد انتصر للحكومة فيما تدعيه لنفسها من حق تربية الامة بما اقامه عليه من البراهين

الأبين لك كيف كان نفع روسو للاطفال خاصة بما نشره في كتبه من الانتصار لهم والدفاع عن حقوقهم . كان ذلك بما ألقته تلك الكتب في نفوس الفرنسيين من بذور الثورة وهيأتها به لها .

لم يقدر الناس مانشأ عن هذه الحادثة الكبرى في نظام الاسرة (العائلة) من ضروب التغيير حق قدره فانها قد خففت من ثقل الولاية الابوية تخفيفاً عجيباً على غير علم من الناس جميعاً لان المؤرخين قلما يلتفتون الى ما يحصل في البيوت من تهذيب الاخلاق

وصلاح العادات فلم يكدر رجال الثورتين اللتين حدثتا في سنتي ١٧٨٩ و ١٧٩٢ يدركون
ما كان يمتور تلك الاخلاق والعادات البيئية من الاستحالة على قربها منهم وسهولة
ملاحظتها عليهم . ذلك لانه ليس في وسع أحد ان يلاحظ أعمال جميع الناس فاذا أريد
الوقوف على أثر انواع هذه الاستحالة وصور ذلك التغير وجب الرجوع الى ما كتب
من السير في اواخر القرن السابع عشر او في اوائل القرن الثامن عشر . هنالك يرى
ما كان بين الزوج وزوجته والوالدة وأولادها من التكلف في العشرة والمقاسحة (*)
والمخافة في المعاملة . نعم ان قولي هذا خاص باهل البيوتات لاننا لانعلم شيئاً من أحوال
الطبقات الاخرى لكن هؤلاء لا بد انهم كانوا يجتذون مثال سرة الامة وزعماء الدولة

كان البيت في ذلك العهد مؤسساً على احدي الوصايا العشر التي وصى الله سبحانه
بها موسى (عليه السلام) وهي (اكرم اباك وامك) فلم يوص موسى ابدانجهمما

كأنيت الزوجة في الغالب تدعو زوجها سيداً وهو يدعوها سيدة فكان تخاطبهما
باسميهما مع كونه هو لذة العشرة والاختلاط لا يكاد يقع منهما في حضرة الاجانب .
فالثورة هي التي ادخلت في البيوت عادة التخاطب بضمير المفرد وسوت بين الولد البكر
ومن يتلونه من اخوته في الحقوق فاجتثت بذلك اصول التباين والاختلاف وأعلت
من شأن المرأة ورفعت من قدرها كما وثقت ما يربطها بالرجل من عقدة التكاك . اصبح
البيت بحكم الشؤون ومجري الحوادث مرجحاً لاصداء المحاورات والمناقشات في المصالح
العامة وصار صوت الرجل وزوجته في محادثتهما اخلص واشد مما كان قبل . كان للكنيسة
في الطفل من الحقوق الى وقت قيام الثورة في سنة ١٧٨٩ اكثر مما كان لاهله فيه
فان البيت كان قد استمار من الدير مافيه من صلاحية المعاملة الباردة بسبب ان الوالدة في
الغالب كانت تربي فيه . لا اعني بذلك ان الأم ما كانت تحب اولادها قبل الثورة واعوذ
بالله ان يخطر هذا بفكري وانكفي مع اعتقادي حبها ايهم اعتقد اعتقاداً ثابتاً ان الثورة
قد ساعدت على تخليص محبات القلوب من قيود التكلف فكما ان منشأ جميع الحركات
العذائبي للارض هو ماني باطنها من النار كذلك منشأ حوادث الانسان الكري هو
ماني قلبه من الحب

(*) المقاسحة اليابسة أي المعاملة بالشدّة

ذلك شأن الانسان في جميع الازمان فمن حياته في الهند حيث كان الطفل لا يعتبر الا برعوماً (١) من نبات قبيلته وفي رومة التي كان الوالد فيها يملك على ولده حق حياته وموته الى ان صار الى هذه المجتمعات الحديثة التي كاد يكون للطفل فيها وجود مستقل قدر قيت الاسرة في اطوار وجودها الاصلية جميع معارج الحرية . فلا بد في تغيير شكل الحكومة واصلاحها من تغيير معنى الابوة ايضاً ورده الى حده

اطول جميع الثورات بقاء واخذها اثرأ هي التي كان لها من الزمن ما استحوذت فيه على عقول الناشئين فالاصلاح الديني مثلاً وهو مذهب البروتستانت لا يزال حياً في المانيا وسويسره وهولانده وانكلترا لان رجاله في هذه البلدان وفي غيرها اسعدهم الحظ بتأسيس مدارس فيها لتربية الاحداث على اصولهم وعقائدهم . أما الثورة الفرنسية فانها على العكس من ذلك قد أعوز رجالها الزمن لتنفيذ مقاصدهم لانهم كانوا قد احتطوا على عجل وهم في مهب رياح الفتنة خطة مثلى لتعليم العام لكن أعاصير الحوادث قد دافعتهم فحبل بينهم وبين ما كانوا يقصدون

لما وضعت الطريقة التي نجرى عليها الآن في التربية كانت نيران الفتنة قد خمدت ومراجل أفكار العصيان قد سكنت فمهدي الى رجال الحكومة النيابية الذين حكموا على الناشرين من رصفائهم بالقتل حكم سيسيرون على كاتيلينا واشياعه (٢) بتجديد ما اندثر من التعاليم القديمة فما لبثت هذه التعاليم ان فاضت منها على الناس اصول الحكومة الفردية أي حكومة الاستبداد وأصبحت القوة الحاكمة هي مدير المدرسة والاستاذ الاكبر لتعليم الدين ورئيس الجند الاكبر والشارع الاكبر بل الكل الاكبر الذي انحصرت فيه جميع الوظائف . ورجا الناس من هذا الاله الذي هو من صنعهم ان يضيء عقول الامة وان يصنع لهم علماء وانصاف علماء فصار التعاليم الابتدائي والثانوي بل صارت جميع درجات التعليم محوطة بسياج حصين من

(١) هو الزهر قبل تفتححه (٢) سيسيرون هو مرقوس توليوس سيسيرون أشهر خطباء الرومان ولد في سنة ١٠٧ وتوفي سنة ٤٣ قبل المسيح وعين حاكماً في سنة ٦٣ وأخذ ثورة كاتيلينا والحرب التي قامت بين بوميه وقيصر وكاتيلينا شريف من أشرف روما كان جمع حزبا وثاربه على مجلس الشيوخ ورومة فقهره سيسيرون

القوانين - معاذ الله أن أكون أسفا على ماأراه من انتشار العلوم وعموم المعارف ولكني
ضعيف اليقين بتأثير عمل الحكومة اذا كان الفرض من التعليم هو تربية رجال أحرار
فانها ماوضعت لذلك وان لاعضاء المجتمع الانساني وظائف كما لاعضاء الاجسام لايمكن
تغييرها بمجرد توجيه العزيمة الى ذلك . سمعت غير مرة ان الجهل كان العقبة الكبرى
في طريق كمال الحرية وأنا موقن بصحة هذه القضية وسمعت ايضا ممن قالوها ان
الحكومة قد قررت ان يكون التعليم مجانيا والزاميا وستكون الاحوال حينئذ على مايرام .
انا لااصدق هذا واضرب الصين مثلا لاؤلئك الذين يرون في دواليب التعليم التي تديرها
يد الحكومة وسيلة لتحرير العقول . يكاد كل رجل في تلك المملكة يعرف القراءة
والكتابة ففيها من المدارس الابتدائية والثانوية وطرق الامتحان مايفوق الحصر
والصينيون هم الذين اخترعوا فن الطباعة وهو اكثر الفنون اليدوية آرا في قلب شؤون
العالم وذلك قبل ان يعرف في اوربا بنحو مائة عام فماذا كانت النتيجة؟ انا لاازيد عنك
علما بها . لم يكن من التعليم الذي كانت الاساتذة تفيضه على الناس الا ان اتقن
تجهير الاوضاع الاجتماعية وجعلها اصلب مما كانت كذلك يكون الشأن عند جميع الامم
التي يكون الفرض من التربية فيها ايجاد رعايا للحكومة في القالب الذي تريده . ولوشئت
لذكرت امة اوربية ليس بينها وبين الصين من هذه الجهة كبير فرق فان التعليم الابتدائي
فيها ثبت كل يوم في نفوس الاطفال خلق الانقياد الاعمى بسبب تداخل السلطين
الدينية والسياسية فيه . المعلم في هذه الحالة هو نائب الحاكم الجائر . لم تري ان دينيس
(١) لما خلع من الملك اشتغل بوظيفة مدير مدرسة .

الاخبار النجاشية

أشرنا في المنار الماضي الى رسالة جاءتنا من سنغابور يذكر فيها صاحبها

(١) هو حاكم جاڤغاشم كان في سيرا كوزا فطرده منها ديون ثم تملون ومات وهو مدير

مدرسة قورته سنة ٣٤٣ ق م